العرب
الأربعاء 2020/07/01
السنة 43 العدد 11748



# عندما أسقط المصريون مشروع الإخوان

## ديمقراطية الإخوان شعار للاستحواذ على السلطة

بقدر الوجع يكون الصراخ

قطعت ثورة الثلاثين من يونيو التي قامت في مصر ضد نظام الإخوان على التنظيم العالمي فرصة إعادة تأسيس الخلافة وبناء الإمبراطورية التي تعتبر أساس المشروع العقائدي للجماعة، حيث يضمن هذا الهدف للإخوان السيطرة على المنطقة العربية وبالتالي إغراقها في حالة من الفوضى.

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

عندما انتفض الشعب المصري في الثلاثين من يونيو 2013 كانت هناك فطرة سليمة تقوده إلى ذلك ناتجة عن تاريخ طويل من الحس الحضاري والقدرة على فهم التحولات، وخصوصا من حيث استشراف الخطر الداهم. فسيطرة جماعة مغلقة بعقيدة إقصائية على بلد في حجم ومكانة مصر كان سيدخل المنطقة في نفق مظلم قد يستمر لعقود طويلة، خصوصا وأنه ارتبط بمشروع تم إعداده في غرف مظلمة على امتداد العقد الأول من الألفية بهدف القضاء على الدولة الوطنية وإخضاع العالم العربي للخلافة الجديدة بقيادة تركية.

روى الدكتور مصطفى الفقيه المستشار السياسي للرئيس المصري الأسبق حسني مبارك أنه وعندما كان نائبا لرئيس البرلمان العربي في العام 2007 جرى بينه وبين وزير الشباب الجزائري آنذاك عبدالقادر السماري حديث هامشي في مبنى الجامعة العربية؛ قال له السماري، الذي تم انتخابه مؤخرا رئيس مجلس شورى حركة مجتمع السلم الإخوانية "استخسرك في ما أنت فيه". وأضاف "هل تعرف رجلا اسمه رجب طيب أردوغان رئيس الحكومة التركية (آنذاك) هو الآن السكرتير العام للتنظيم العالمي للإخوان، والمنطقة مقبلة على تحولات كبرى خلال السنوات القادمة وستكون الشرعية من مصر ولكن القيادة من تركيا".

رغم أن السماري سارع إلى تكذيب ما نقله عنه الفقيه إلا أن كل المؤشرات تؤكد أن الدبلوماسي المصري قال الحقيقة، ففي تلك الأثناء كانت المؤامرة تحاك على أكثر من صعيد وكانت واشنطن مركز التخطيط الدولي والدوحة مركز الإعداد الإقليمي.

كانت هناك تحركات غامضة تجري باستقطاب المعارضة، اليسارية والليبرالية، والدفع بعناصرها الشابة إلى معسكرات مغلقة في دول أوروبا الشرقية بهدف تدريبها على ما سمي بالتغيير السلمي، واتخاذ الثورات الملونة نموذجا ومثالا، فيما كانت الغاية تمكين الإسلام السياسي من الحكم، وهو ما تبين لاحقا.

ليس هذا وقت العودة إلى ما حدث في أوائل العام 2011 والطريقة التي جرت بها الأمور في تونس ومصر ثم في ليبيا وسوريا واليمن وما كان يخطط له في السر لنقل العدوى إلى بقية الدول دون استثناء، ولكن ما تبين آنذاك أن الإسلام السياسي وحّد صفوفه بين إخوان وسلفية جهادية واتجه لتوسيع طموحاته إلى شراكة على مستوى المنطقة بدعم غربي معلن.

كانت واشنطن حينها في ظل حكم الديمقراطيين وهيمنة المحافظين الجدد وتحول مقر لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية (الإيباك) إلى دار ضيافة لقيادات الإخوان الذين كانوا قد أعطوا وعودا بالتوصل إلى حل مع تل أبيب، فالإسلاميون لا يرون مانعا من تصفية كل القضايا العالقة مقابل تمكينهم من الحكم وتحقيق مشروعهم المحكوم بأيديولوجيات قديمة، تتحرك في واقع جديد بكثير من النفاق والتقية والاستعداد للتبعية والقبول بما يُملى عليهم، على الأقل مؤقتا.

لم يعرف الغرب قوة سياسية من الممكن ترويضها لخدمة أهدافه الكبرى كجماعة الإخوان، التي حاربت وكفّرت كل التجارب السابقة من قومية ووطنية ويسارية، ولم تترك نظاما إلا وتآمرت عليه ولا زعيما وطنيا إلا وسعت إلى الإطاحة به أو الانقلاب عليه حيا أو ميتا. ولم تترك جهاز مخابرات أجنبيا إلا وقدمت له الخدمات ولا بلدا من خارج المنظومة الغربية إلا وحاولت نخره من الداخل. وكانت الجماعة على استعداد بعد تحقيق مشروعها في المنطقة العربية لتوسيع المؤامرة في اتجاه روسيا والصين، وهو ما كشفت عنه مجريات الحرب الأهلية السورية عندما تم استقدام المسلحين من مختلف الدول وتحويلهم إلى نواة لجيش الخلافة بأسلحة متطورة وتمويلات سخية وعيون مغمضة عن انتهاكاتهم وجرائمهم.

> لم يعرف الغرب قوة سياسية يروضها لخدمة أهدافه كالإخوان الذين حاربوا التجارب السابقة وتآمروا على الأنظمة

كان المشروع الإخواني يعتمد في جزء مهم منه على: إسقاط الدولة الوطنية ومؤسساتها، وشيطنة تاريخها ورموزها، والتقليل من أهمية منجزاتها، وتشكيل الميليشيات بدل الجيوش، وتأسيس الأمن الموازي لضرب الشرطة ووضع اليد على القضاء واغتيال الناشطين المؤثرين، وتقسيم المجتمعات باللعب على أوتار التباينات العرقية والمحلية، والقبلية والفئوية، والطائفية والمذهبية، واعتبار كل معارض للجماعة خارجا عن الإسلام.

وبشّر المشروع الإخواني بالديمقراطية كشعار للتمكن من السلطة قبل الانقلاب عليها والحديث في الغرف المغلقة عن الهدف الأكبر وهو إعادة تأسيس الخلافة وبناء الإمبراطورية، التي كان أردوغان أول المهيئين لقيادتها والتي تعتبر أساس المشروع العقائدي للجماعة منذ حسن البنا وسيد قطب.

في يونيو 2013، كانت تونس تحت حكم الإخوان وحلفائهم تصدر المقاتلين إلى ساحات المواجهة. وكانت ليبيا مختطفة من قبل الإسلام السياسي. وسوريا تواجه حرب الإطاحة بها تحت شعارات دينية وطائفية. وفي البحرين، كانت أصوات الدعاة تهتف في كل مكان بالجهاد. وقطر تدفع المليارات لتهيئة الوجه الجديد للمنطقة. والخلايا النائمة تستعد لبث الفوضى في دول الخليج. وعين المتآمرين ترمق الجزائر وموريتانيا ولكن بحذر. واللوبيات النافذة في الغرب تتزعم حملة التبشير بالربيع العربي. وإسرائيل تستقبل جرحى جبهة النصرة لمداواتهم في مستشفياتها برعاية خاصة من نتنياهو.

وكانت مصر تحت حكم الإخوان، والإرهاب يضرب في كل مكان لبث الرعب في الجماهير بما يساعد على السيطرة عليها. وكانت الدوحة قد بدأت تخترق المؤسسات وتتدخل في قرار القاهرة وتدفع نحو الهيمنة على أكبر بلد عربي وتعد مع أصدقائها الأميركان والإسرائيليين لمشروع توسيع دولة حماس على حساب سيناء وكانت مؤسسات الجيش والشرطة والقضاء في قلب العاصفة.

وكان محمد مرسي يهدد بإرسال قوات مصرية للقتال ضد النظام السوري، وأتباعه يحاصرون المحكمة الدستورية ومدينة الإعلام ويمارسون العنف على المتظاهرين السلميين. ولم يكن الشعب يعلم هل أن رئيسه هو محمد مرسي أو خيرت الشاطر أو محمد بديع أو حمد بن خليفة آل ثاني أو أردوغان أو السفيرة الأميركية آن باترسون. كما كان المجتمع على أبواب فتنة بين مكوناته، بعد حرق كنائس وتكفير المسيحيين وسحل شيعة وتحويل سيناء إلى ساحة جهاد.

وأخرج الإرهابيون من السجون، وهو ما أدى إلى احتقان في صفوف الشعب المعتز بوطنيته، سرعان ما تحول إلى غضب فتمرد فثورة شعبية. فالمصريون لا يقبلون على أنفسهم أن تتحول بلادهم إلى ساحة للتناحر ولا إلى قطعة من الأرض ملحقة بمشروع معاد لسيادتها ولدورها القيادي في المنطقة. والمجتمع المصري لا يرضى الخنوع لحكم جماعة لا تعترف أدبياتها بالوطن ولا بالتنوع الثقافي والحضاري.

استطاعت ثورة الثلاثين من يونيو أن تنقذ مصر من الفوضى العارمة ومن الاعتداء على جغرافيتها وسيادتها وسلمها الأهلي وأن تضرب بالمقابل المشروع الإخواني، الذي كان حصان طروادة للسيطرة على المنطقة العربية ومقدراتها، وأن تفشل مشروع المحافظين الجدد وطموحات أردوغان والنظام القطري. لذلك لا تزال تلك الثورة تتعرض حتى اليوم إلى حملات التشويه، ولا يزال الخاسرون من جرائها يمارسون التضليل والخداع والتحريض ضد الدولة المصرية وقيادتها ومؤسساتها، فبقدر الوجع يكون الصراخ، وصراخ الخاسرين لا يزال عاليا، ولكنه في واد غير ذي زرع.

# الدعاية السوداء للإخوان.. تقوّي النظام المصري وتضعفهم

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

لم تكل أو تمل قيادات جماعة الإخوان من تبني كل ما هو سلبي حقيقي أو مفتعل ضد النظام المصري، وبلغ هذا الموقف درجة لم يتصورها كثيرون للمكايدة السياسية، حيث تبنت أبواقها الإعلامية الرؤية التركية بالكامل في ليبيا، وشجعت على المزيد من التدخل وضبط الأوضاع بما يتلاءم مع مصالح التيار الإسلامي، وفي قلبه إخوان ليبيا، وكل الميليشيات المسلحة والتنظيمات الإرهابية القادمة من سوريا.

كالت الاتهامات لمصر على ما وصفته بالتدخل العسكري والسياسي في شؤون ليبيا، ولم تعر أدنى اهتمام لما تمثله هذه الدولة الملاصقة للحدود من أبعاد إستراتيجية للأمن القومي المصري، واستخدمت أوصافا تحريضية تدفع إلى إبعاد القاهرة بالقوة عن الفرقاء الليبيين، وهو ما يؤكد تقدم المصالح الأيديولوجية على الوطنية في أجندة الإخوان على الدوام، فالمسلم الماليزي (أو التركي) كما قال مرشدهم السابق مهدي عاكف، أهم من المسيحي المصري، وهو الذي لا تهمّه مصر وشعبها ووحدته.

فتحت أزمة سد النهضة الإثيوبي طاقة سلبية جديدة لدى جماعة الإخوان، حيث استخدمتها في المزيد من التكسير السياسي لعظام القاهرة القوية، وجرفت معها عدم اكتراث بالأمن المائي وحيويته للشعب، وتبنت رؤى قريبة من وجهة نظر أديس أبابا لإظهار النظام كأنه يفرط في الحقوق، وهي تعلم أن هذه النتيجة سوف تكبد البلاد خسارة كبيرة، فلا يهم عندها الحجم والقيمة، فالمهم أن يوحي التعامل الرسمي بالعجز وعدم القدرة على صيانة حقوق المواطنين.

انتقلت المسألة إلى مربع أشد قتامة خلال الأيام الماضية، عندما فضحت بعض التقارير الإعلامية تشكيل لجان إلكترونية إخوانية منظمة، تشرف عليها قطر، تعمل بالتعاون مع أخرى إثيوبية لأجل الانتصار لموقف أديس أبابا في ملف المياه، والتشويش على الموقف المصري، ومحاولة تفريغه من عدالته وقانونيته.

لجأت في هذا الإطار إلى التسخين السياسي، وترديد عبارات وألفاظ ومصطلحات تشير إلى أن القاهرة ستوجه ضربة عسكرية لسد النهضة، ما يرسخ في أذهان الإثيوبيين صورة سلبية عن النظام المصري، تجبرهم على التعامل معه بطريقة متشددة، وتمكن الحكومة هناك من تبني رداء الاضطهاد والمظلومية على الطريقة الإخوانية.

## حيوية مع الأزمات

تطرب جماعة الإخوان مع كل أزمة داخلية أو خارجية تواجهها القاهرة، وتسعى إلى الاستفادة منها لتبرير استمرار معارضتها، وتنفخ فيها بشكل مثير للانتباه من دون أن تتحرى دقتها، أو تبدي رغبة في التراجع عنها بعد ثبوت عدم صحتها، وتم ضبطها في مواقف كثيرة تلجأ إلى توظيف فيديوهات غير مصرية على أنها التقطت داخل مصر، أو عرض صور قديمة في مواقف مغايرة ويتم تسويقها على أنها حديثة.

تعلم قيادات الجماعة أن هذه الوسائل ضالة ومزيفة، ومع ذلك تستخدمها ضمن أسلحتها السياسية لاستقطاب الفئات الناقمة، والمتضررة من الإصلاحات الاقتصادية التي تبناها الرئيس عبدالفتاح السيسي، والتي ترتبت عليها مشكلات اجتماعية حادة، وتعمل لأجل تعميم المشاهد السوداوية كرسالة إخوانية لا تتوقف، فهي وسيلتها الوحيدة للانتقام من المؤسسة العسكرية التي أيدت تحركات شريحة كبيرة من المواطنين لعزل نظام الإخوان.

مرت سبع سنوات على الثورة الشعبية ضد الإخوان في 30 يونيو 2013، ولم تمنح جماعة الإخوان نفسها فرصة للمراجعة السياسية والاعتراف بارتكاب أخطاء قاتلة، ولا تزال تصر على نهجها، كأن هذه السنوات ليست كافية لإعادة النظر في مسلماتها التي كبدتها خسائر باهظة، وربما تمر سنوات أخرى، أكثر أو أقل، ولن تتراجع قيادات الجماعة، بذريعة الثبات على المبدأ والتمسك بالثوابت، لكن الحقيقة أن الانتقال لمربع إيجابي ستكون نتيجته أكثر كلفة من المربع السلبي.

يضفي الأخير عليها حراكا وحيوية وزخما، ويشعر كوادرها أنهم ينتمون لجماعة فاعلة، يمنحهم أملا بأن الجهود السابقة لن تضيع هباء، فطالما النظام المصري يقع في أخطاء، حتى لو كانت متخيلة، فنهايته اقتربت، حتى لو كان التبشير بذلك مضت عليه كل هذه السنوات.

لا تزال هناك فئات إخوانية تعتقد أن "بكره (غدا) العصر مرسي سيعود إلى القصر"، وهو الشعار الذي أطلقه أتباع الجماعة عندما جرى عزل الرئيس الإخواني محمد مرسي في 3 يوليو 2013، ومات مرسي ولم تمت الفحوى التي تضمنها الشعار، فهو القشة التي يتعلقون بها.

تدرك قيادات الجماعة أن اللحظة التي تعترف فيها أنها ارتكبت أخطاء وندمت عليها وتريد تصحيح المسار وتحويله من السلبية إلى الإيجابية سوف تواجه تحديات داخلية عاصفة، ربما تصل للمزيد من التفكك، فأن تُتهم بالتمسك بمواقفها مهما كلفتها من خسائر خير من أن تُتهم بالتخلي عن المبادئ وبث الإحباط في نفوس أشخاص يضفون العصمة على القيادات.

تظل فكرة التعلق بالأمل والحلم مؤثرة في هياكل الجماعة، لتحميها من الانزلاق في أتون تشرذم كبير لن يكون بعيدا عنها عندما تقدم على خطوة تظهر الحقيقة عارية أمام منتسبيها، الذين يعلمون حجم الكذب ويصرون عليه، فالتخلي عنه يؤدي إلى انهيار الجماعة، وهي تعتبره نوعا من التقية ويمكن استخدامه طالما تحصل من ورائه على مكاسب سياسية.

## أيديولوجية وانتهازية

انسحقت قيادات الجماعة وراء مغامرات تركيا وقطر، لأنهما يمثلان عونا لوجستيا لها، ولم يتجرأ أحد فيها على توجيه كلمة انتقاد واحدة لأنقرة أو الدوحة، لأن دعمهما حاجة مصيرية في مواجهة النظام المصري، وإذا اعتبرنا البعد العقائدي يعكس انتهازية لدى هذه الأطراف، فإن المكون السياسي والاقتصادي يظل هو الرابط بينهم.

يعي التنظيم الدولي للإخوان أن اللحظة التي تشهد فيها القاهرة وكل من أنقرة والدوحة وقفة لصالحة أو تسوية للملفات الخلافية، ستترتب عليها تضحية بأجسام الإخوان المتواجدة في البلدين، لأنها جزء من العقدة والحل، ويسعى هؤلاء حثيثا للعزف على الأوتار السلبية لتثبيط همة النظام المصري وشغله بمشاكل جانبية، وإيجاد هالة معنوية سلبية يصعب محوها بسهولة.

تقتنع الجماعة أن طريقها السوداوي، المسلح والسياسي، لم يقد إلى النتيجة المرجوة، لكنه أبقاها في دائرة الضوء، وأوحى لكثيرين أنها رقم مُعتبر في المعادلة المصرية، سواء قبل بها النظام الحاكم رسميا أم رفضها، ففي توقيت معين يمكن أن يمثل هذا الاتجاه ضغطا على الداخل، أو يجلب تعاطفا كبيرا من الخارج، فتضطر القاهرة إلى التسليم بفكرة المساومة.

تبدو هذه اللحظة بعيدة حتى الآن، في ظل إصرار النظام المصري على تصنيفها في خانة الإرهاب وعدم إظهار أية مرونة لتغيير هذا الموقف أو تليينه، غير أنها تعي أنها لا تزال الرقم المحوري في التوازنات الداخلية، لعدم وجود قوى سياسية قادرة على سد الفراغ الذي خلفه تقويضها على المسرح المصري.

> جماعة الإخوان أخفقت فعلا في إسقاط النظام المصري بل وفرت له عناصر قوة جديدة وأصبحت انعكاساتها شديدة الوطأة بما يصعب على كوادرها تحمله وهو ما يجبرها على القيام بانعطافة حادة تخل بمكونات المعادلة السوداوية

فهمت أن استمرار وجود الكثير من قياداتها في السجون طوال هذه المدة وتجميد تنفيذ أحكام الإعدام التي صدرت بحق بعضهم، يحمل رسالة ضمنية بالخوف من التداعيات السياسية للإقدام على هذه الخطوة، ويعني أن فرصة التفاهم ليست منعدمة تماما، وكلها أسباب تشي بأن المنهج السلبي أحرز أهدافا أكثر من المتوقع، بالتالي من المحتمل أن تقود مواصلة الطريق فيه إلى مكاسب رمزية تغني عن فكرة الاشتباك الإيجابي.

كما أن رفع هذا السيف على رقبة النظام المصري يمكنه من تأجيل استحقاقات سياسية بلا ضجيج، ويساعده على تيسير امتصاص الناس لتكاليف الإصلاح الاجتماعية، الأمر الذي فهم منه البعض أن المباراة بين الإخوان والقاهرة ليست صفرية، وربما لا تخلو من سرديات غير مباشرة لدور كل طرف، حيث تحقق لعبة شد الحبل أو الصعود إلى حافة الهاوية فوائد للجانبين، وكلاهما يوظفها بالشكل الذي يمنحه قوة ويمكنه من تحقيق أهدافه.

لذلك سوف تبقى الأزمة لفترة من الوقت كي تتغير القواعد التي قامت عليها، أو تقرر جماعة الإخوان القيام بانعطافة حادة تخل بالمكونات الظاهرة التي تقوم عليها المعادلة السوداوية، لأنها أخفقت فعلا في إسقاط النظام المصري، بل وفرت له عناصر قوة جديدة، وأصبحت انعكاساتها شديدة الوطأة بما يصعب تحمله من قبل كوادرها.